



المعهد المصري للدراسات
EGYPTIAN INSTITUTE FOR STUDIES

حسابات تركيا المعقدة بخصوص إدلب

د. سعيد الحاج

كاتب وباحث فلسطيني

مقالات
المعهد

٢٥ أغسطس ٢٠١٧



TURKEY- ISTANBUL

Bahçelievler, Yenibosna Mh 29 Ekim Cad. No: 7 A2 Blok 3. Plaza D: 64
Tel/Fax: +90 212 227 2262 E-Mail: info@eis-eg.org



WWW.EIPSS-EG.ORG

f Eipss.EG t Eipss_EG



حسابات تركيا المعقدة بخصوص إدلب

د. سعيد الحاج

منذ بدء الثورة السورية في 2011 وعلى مدى السنوات الست السابقة، تطور الموقف التركي منها وتبدل حسب ثلاثة معطيات، المشهد الميداني في سوريا والموقف الدولي منها والوضع الداخلي في تركيا. وقد تغير الموقف الدولي من الأحداث في سوريا وتقييمه لها، من تحرك شعبي إلى ثورة إلى ثورة مسلحة إلى حرب أهلية إلى حرب على الإرهاب وضرورة البحث في مستقبل سوريا. وبناء على هذه المعطيات وغيرها من العوامل فقد انتقلت المقاربة التركية للقضية السورية من الدعوة للإصلاح في أشهر الثورة الأولى، إلى المطالبة برحيل الأسد بعد انتهاجه الحل الأمني وتبني المعارضة تماماً، إلى القبول بالحل السياسي على قاعدة رحيل الأسد، إلى الرضى ببقائه في المرحلة الانتقالية، إلى عملية درع الفرات، إلى مسار أستانة.

أولاً: تحولات الموقف التركي من سوريا:

مؤخراً، ولأسباب عدة، يصعب القول إن أنقرة تقارب القضية السورية كحزمة واحدة، وإنما هي أقرب لملفات شبه منفصلة لكل منها ظروفه وعوامله وفواعله ووزنه وتأثيراته، فهناك عفرين وهناك منبج وهناك إدلب، ولكن كل ذلك وفق أولوية واضحة لمواجهة المشروع السياسي الكردي في شمال سوريا وعلى قاعدة الحل السياسي التفاوضي ضمن مسار أستانة واتفاق مناطق خفض التصعيد.

فيما يتعلق بإدلب، ثمة زوايا نظر وتقدير عدة لتركيا بخصوصها: فهي أولاً منطقة تسيطر عليها قوات "المعارضة" السورية من حيث المبدأ، وهي ثانياً محافظة تضم حوالي مليوني إنسان وملاصقة للحدود التركية، وهي ثالثاً محط أنظار النظام والمنظمات الكردية المدعومة أمريكياً، وهي رابعاً آخر المناطق المهمة التي تنتظر تطبيق اتفاق مناطق خفض التصعيد.

هذه المعطيات تعقد الحسابات التركية بخصوص إدلب إلى حد بعيد، سيما في ظل الإشارات الأمريكية غير المطمئنة. إذ صرح المبعوث الأمريكي للتحالف الدولي "بريت ماكغورك" مؤخراً بأن "القاعدة" تسيطر على إدلب



وأن تركيا ساهمت في ذلك، ما أعطى إيحاً بأن الولايات المتحدة قد ترتب لعملية عسكرية في إدلب بعد الرقعة وبنفس الطريقة، أي عبر المنظمات الكردية وهو مثار قلق كبير بالنسبة لتركيا. أكثر من ذلك، يشير التصريح إلى اتهام ضمني لتركيا بدعم "الإرهاب" أو على الأقل التساهل معه، رغم أن واشنطن عادت عنه بطريقة خجولة لاحقاً بعد احتجاج أنقرة، وبالتالي قد تحتاج الأخيرة لعمل ما في مواجهة "هيئة تحرير الشام" التي تسيطر على إدلب لتبرئة نفسها، وهو أمر له محذوراته الكثيرة بطبيعة الحال. من جهة أخرى، من الواضح أن تأخير / تأجيل تركيا لعملياتها المفترضة في عفرين ضد حزب الاتحاد الديمقراطي مرده عدم الاتفاق مع روسيا عليها أو على بعض تفاصيلها، ومن هنا ترددت أنباء بأن موسكو طلبت من أنقرة تأجيلها إلى ما بعد إنهاء ملف إدلب في إطار اتفاق خفض التصعيد.

ثانياً: الخيارات التركية تجاه إدلب:

بناء على ماسبق، تبدو أنقرة أمام ثلاثة خيارات رئيسية فيما يتعلق بإدلب، لكل منها تحدياته وعقباته ونتائجه:

الخيار الأول: تجنب المواجهة:

تجنب المنطقة عملية عسكرية واسعة كمصلحة تركية خالصة وخيار أنقرة الأفضل. فهذا الخيار يحمي المدينة وسكانها من مصير مشابه للموصل أو الرقعة مثلاً، ويجنب تركيا موجة لجوء كبيرة، ويبعد المنطقة عن سيطرة النظام أو المنظمات الكردية.

ويستوجب هذا الخيار سحب ذريعة "مكافحة الإرهاب" وبالتالي انسحاب هيئة تحرير الشام من الصورة تماماً (وقد سرب أن أنقرة طلبت حلها) وتحويل السيطرة على المحافظة إلى سلطة إدارية مدنية شرطية تشرف عليها تركيا - أو وفق آلية متفق عليها - وفق نموذج قريب من منطقة درع الفرات.

ويبدو أن هذا الخيار يصطدم بشكل مباشر بقرار الهيئة ومصيرها ومصير أفرادها مستقبلاً، فضلاً عن مدى افتتاع الولايات المتحدة وروسيا بنجاحته وانتفاء ذريعة التدخل وهو أمر يتعلق بالقرار المسبق أكثر من الاقتناع الموضوعي ربما.



الخيار الثاني: تدخل تركيا في إدلب:

وذلك دفعاً لتهمة دعم "الإرهاب" واستباقاً لأي تدخل كردي - أمريكي أو أسدي - روسي وإبقاءً للمنطقة تحت سيطرة المعارضة القريبة من تركيا قبيل أي حل تفاوضي ستكون مساحات السيطرة الميدانية إحدى أهم نقاط القوة ومحددات الحل فيه.

بيد أن هذا الخيار يبدو مرأً وأمامه تحديات الكثافة السكانية ومواجهة الهيئة واحتمال ارتداد ذلك على داخل تركيا كعمليات انتقامية، فضلاً عن الصورة الذهنية التي يمكن أن تتشكل بأن أنقرة تتدخل في "مناطق المعارضة" بقرار أمريكي أو روسي.

الخيار الثالث: مقايضة إدلب بعفرين:

وهو الخيار الذي قد تفعله أنقرة - وإن كانت لا تفضله ربما - في حال اتضح لديها إصرار الإدارة الأمريكية على حسم الأوضاع في إدلب وعدم قدرتها هي على منع ذلك أو تنفيذه بيدها، وبالتالي يكون السماح لها بعملية عسكرية في عفرين ثمناً للعملية في إدلب، وهو خيار قد لا يحتاج لكثير تفصيل في نتائجه الكارثية.

ختاماً:

في المحصلة، ما زالت خيارات تركيا - ومنذ فترة - كثيرة في الظاهر ولكن محدودة في الحقيقة، ومرتبطة إلى حد بعيد بمواقف الدول الكبرى، وليس القرار التركي الذاتي فقط، إلى أن تصل الأمور في ملف ما لمرحلة تهدد بشكل آنيٍّ وحاد أمنها القومي فتضطر للتدخل واتخاذ خيارها بمعزل عن أي تفاهات أو تنسيق مع الأطراف الأخرى، وهو خيار لا نرجو أنقرة أن تضطر إليه وإلى تحمل تبعاته⁽¹⁾.

(1) الآراء الواردة تعبر عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن "المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية".